التنمية البشرية في فكر الإمام الصادق عليه السلام التنمية العلمية أنموذجاً

المدرس
حيدر جابر كاظم الموسوي
الجامعة الإسلامية ـ كلية العلوم الاسلامية

التنمية البشرية هي أحد جوانب التنمية الواسعة وكمفهوم بدأ وتطور من عقد إلى آخر، وفي كل فترة كان يستخدم أكثر من تعبير للدلالة على هذا المفهوم فلقد استخدم مثلاً في البداية تعبير تمنية العنصر البشري أو تنمية الرأسمال البشري أو تنمية الموارد البشرية أو التنمية الاجتماعية..... الخ إلى أن استقر أخيراً على تسمية (التنمية البشرية) ولو تعمقنا أكثر في فهمنا لهذا المفهوم لوجدناه يجمع ما بين الإنتاج والتوزيع للسلع، مع توسيع القدرات الإنسانية ويحلل كل القضايا والأمور في المجتمع من أمور النمو الاقتصادي إلى الإنتاجية إلى علاقات الإنتاج والاستهلاك، والادخار، والاستثمار إلى التجارة والثقافة، إلى التشغيل، إلى الحرية السياسية، إلى القيم الأخلاقية فضلا عن المضمون الاجتماعي من صحة وتعليم وغيرها من أمور، وذلك كله من منظور البشر كمنتجين ومستفيدين من التنمية وبكونهم أداة التنمية وغايتها، ويمكن تطبيق المفهوم على الدول المتقدمة والنامية على حد سواء. فهي العملية التي تستهدف الإنسان وتعمل جاهدة على وضع كل ما يفيده، ويخدمه في متناول يده خاصة أن يحيا حياة طويلة ويكتسب المعرفة، ويتمتع بمستوى معيشة كريمة، فضلا عن تطوير جميع طاقاته وإمكانياته لهذا الغرض لأنه أساس الحركة التنموية في أي مجتمع.

والتنمية من منظور إسلامي نجدها تنمية اقتصادية، اجتماعية، بشرية وروحية وثقافية غايتها تكريم الإنسان. وباعتبار أهل البيت عليهم السلام عامة والإمام جعفر الصادق عليه السلام خاصة الممثلين الحقيقيين لشريعة الإسلام جاء بحثي هذا كإسهامه متواضعة في البحث عن مضمون هذا المفهوم في فكر الإمام الصادق عليه السلام.

وقد قسمنا البحث إلى ثلاثة مباحث تناولنا في الأول:

الأول: مفهوم التنمية البشرية، تطورها التاريخي، عناصرها، مقاييسها، أهدافها. وتناولنا في الثاني: التنمية العلمية في فكر الإمام الصادق عليه السلام.

المبحث الأول

التنمية

التنمية مصطلح قديم، جديد ويعد من أكثر المصطلحات تداولا، ويمكن أن يمتد ليشمل جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من المجالات الأخرى كافة. مع ذلك فإنه كمصطلح صعب التحديد، والصعوبة تعود إلى تنوع الجوانب المتصلة به، وكذلك لاختلاطه بمصطلحات أخرى، ولعل التداخل فيما بين مصطلحي النمو والتنمية والفرق بينهما يعد واحدا من الإشكالات المهمة (وإن كان هناك بعض المفكرين يستعملون المفهومين استعمالاً واحداً أي لا يفرقون بينهما، إلا إن بعضهم الآخر يحرص على التمييز الواضح والمحدد بينهما ولعل الفارق بينهما لدى هؤلاء هو التنمية تعني انبثاق حالة عقلية، ونفسية واجتماعية من شأنها أن تجعل النمو ممكنا[١].

والتنمية هي عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاهية للإنسان وكرامته، وكما إنها بناء للإنسان وتحرير له، وتطوير لكفاءاته، وإطلاق لقدراته للعمل البناء، كما هي اكتشاف لموارد المجتمع، وتنميتها والاستخدام الأمثل لها من أجل بناء الطاقة الإنتاجية القادرة على العطاء المستمر[٢].

التنمية البشرية:ـ

والتنمية البشرية هي أحد جوانب التنمية الواسعة وكمفهوم بدأ وتطور من عقد إلى آخر، وفي كل فترة كان يستخدم أكثر من تعبير للدلالة على هذا المفهوم، (فلقد استخدم في البداية تعبير، (تنمية العنصر البشري)أو(تنمية الرأسمال البشري) أو (تنمية الموارد البشرية) أو (التنمية الاجتماعية)..... الخ إلى أن استقر الرأي حالياً على أسم التنمية البشرية[٣].

وهي توفير وإتاحة الفرص المجتمعية، والبيئية لنمو الطاقات الجسمانية، والعقلية، والروحية، والإبداعية، والاجتماعية إلى أقصى ما تستطيعه طاقات الفرد والجماعة، ويعني هذا بعبارة أخرى توفير السلع والخدمات اللازمة لنمو هذه الطاقات المتنوعة، وصياغتها واستمرار نموها وتطورها)[٤].

التطور التاريخي للتنمية البشرية:

إننا إذا ما نظرنا إلى موضوع (التنمية البشرية) من زاوية تاريخية، وجدناه ليس بذلك الموضوع الطارئ فلقد كانت وعلى امتداد الأفق الواسع للتاريخ مدار بحث، ودراسة، بيد أننا إذا ما أردنا أن نؤشر نقطة بداية وانعطافة تاريخية مهمة وحقيقية في مجال بحثنا هو ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة منها ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (لقمان/٢٠) ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل -١٤)، والكثير من الشواهد الأخرى، يتضح من خلال الآيات القرآنية إن الإنسان خلق محتاجاً لغيره في ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره من نعومة أظفاره إلى أشد كبره، والحاجة لا تكون فقط لمن حوله بل تمتد إلى الخالق سبحانه وتعالى، الذي خلق جميع ما في الكون للإنسان، فيده مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف، أي إن الإنسان هو غاية جميع ما في الطبيعة وكل ما في الطبيعة مسخر له(٥).

عناصر التنمية البشرية:-

يمكن القول إن مفهوم التنمية البشرية يركز - بوجه عام - على ثلاث عناصر أساسية هي الصحة، والتعليم، والمستوى المعاشي والمتمثل بالعمل، ومقدار الدخل الناتج من ذلك، وهذا ما اقترحه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام ١٩٩٠ لما لها من أهمية وعلاقة مباشرة بتطوير القدرات الإنسانية وبالتالي استخدام هذه القدرات أو استثمارها في رفاهية الإنسان وإسعاده وستناول كل عنصر من العناصر تبعاً لأهميتها بالنسبة للإنسان وعلاقتها بالتنمية، وبالعناصر الأخرى باعتبار إن عناصر التنمية البشرية هي عناصر متداخلة، ومترابطة، تتبادل التأثير على حد سواء.

١. الصحة:

تعد الصحة من أهم العناصر فاعلية في وجود الإنسان، وفي ديمومة بقائه، وهي تؤلف مع التعليم، والعمل مثلث عناصر التنمية البشرية الأساسية. ولأهمية عنصر الصحة للإنسان والمجتمع، فأن الإنفاق الحكومي على الصحة أصبح يعد استثمارا غير مباشر للطاقات البشرية أو القوى العاملة مستقبلاً. حتى إن شعار (الصحة للجميع) بات شعار ترفعه العديد

من المؤتمرات الصحية العالمية، فالصحة حق أساسي من حقوق الإنسان كما إنها هدف اجتماعي عالمي[٦]. والصحة (حالة تمتع الفرد بكامل عافيته البدنية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية)[٧] والصحة كهدف هي من الأشياء المتفق عليها في كل المجتمعات عبر التاريخ على المستويين الفردي والاجتماعي، أما الحالة المثالية في مجال إمكانية العطاء فتتمثل في تظافر صحة النفس، والجسد، مع نسق توجهات اجتماعية ايجابية، ومعارف متطورة وقدرات راقية[٨] لذلك فالصحة الجيدة أساس رفاهية البشر، وإنتاجهم، وان السياسة الصحية القائمة على قاعدة واسعة أمر أساسي للتنمية وتتصل المشاكل الدقيقة للصحة في العالم النامي بشكل وثيق بظروف البيئة ومشاكل التنمية[٩]. وأننا إذا ما أردنا مثلا فحص العلاقة والاعتماد المتبادل فيما بين الصحة والتعليم، نجده يتضح من خلال ذلك المقدار من مقدرة الطفل على الاستيعاب الجيد للمقررات التعليمية في الدرس والذي يتوقف على صحته ولياقته الجسمية، والعقلية، أو الذهنية، والتي تؤهله لاستخدام تلك المعارف والمهارات التي اكتسبها من خلال عملية التعليم في المدارس[١٠] فالتعليم يحتاج إلى صحة جسمية، ونفسية لكل من يتعامل معه وينهل من معارفه المختلفة حتى أصبح الربط بين التعليم، والصحة والعلاقة بينهما، من البديهيات التي لا خلاف عليها، بل أصبح مثلاً يضرب (العقل السليم في الجسم السليم) مما تقدم نرى بوضوح لا يقبل اللبس، إن الصحة ترتبط ارتباطا مباشراً بالعناصر التنموية الأخرى، ولما كان هدف التنمية في النهاية هو الإنسان فأن نتائجها ترجع لذات الإنسان نفسه.

٢.التعليم:ـ

يعرف التعليم بأنه (نقل المعرفة، والمهارات، والقيم من المعلم إلى المتعلم)[١١] ومن خلال التعريف يتضح إن هناك شروطاً أساسية يجب بتوفرها تسمى هذه العملية أو تلك (تعلم) إذ يشترط وجود المعلم ووجود المتعلم وهذا المعلم يقوم بنقل المعارف والمهارات والقيم إلى المتعلم، فالتعليم يعد من أبرز الوسائل لإعداد الطاقات البشرية وصقلها حتى أنك لتجد إجماعا فيما بين الباحثين (إن الحاجة إلى التعليم ضرورة من ضرورات البقاء، والنماء للإنسان في أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي زمان، ومكان ومع تطور الحضارة الإنسانية وتعقيدها أصبح حق الإنسان في أن يتزود بقسط معلوم من التعليم المنظم والمنتظم، من الحقوق الأساسية التي نصت عليها المواثيق الدولية)[١٢] لقد استحوذ موضوع التعليم

وعلاقته بالتنمية البشرية، أو دوره فيها حيزاً كبيراً من اهتمام، وفكر وكتابات الباحثين والعلماء سواء كان منهم التربوي أو الاجتماعي أو السياسي، لعلمهم إن التعليم هو الأداة التي تقوم على إعداد العنصر البشري، ورفع درجة كفاءته وإن ضرورة التعليم تكمن في قدرته على تنمية الشخصية الإنسانية ومساعدتها على تجسيد إرادتها، وحركتها، وإبداعاتها، وانتمائها الحضاري والقومي ومشاركتها في مسيرة تنمية مجتمعها.[١٣] وإذا أتينا على المحاور التي من خلالها تناولت التنمية البشرية التعليم، فأننا سنجد إن هناك ثلاثة محاور رئيسة اهتمت بها وهي:-

- توفير التعليم كأداة لاكتساب التقانة (التكنولوجية)
- ربط التعليم باحتياجات سوق العمل
- التعليم حق أساسي يهدف إلى تحسين وضع البشر وليس فقط تحضير البشر للعمل[١٤].

وان إمعان النظر في هذه المحاور الثلاثة والتي تناولت من خلالها التنمية البشرية التعليم نجد إن المحور الأول يؤكد إن (عملية الإنتاج، والإبداع، والتقدم في كل روافد العمل تستند إلى تطوير العنصر البشري علمياً، وفنياً، وتزويده بالأفكار والمعلومات الضرورية التي تنسجم مع التطورات المتسارعة في العلم المعاصر)، والمحور الثاني ينطلق من منطلق ان احتياجات سوق العمل من الاختصاصات والمهن المختلفة هي في تغير مستمر، وطلب يفترض المواكبة وبوضوح وعدم التأخير في رسم البرامج الجديدة، وهذا الأمر يجعل استجابة التربية والتعليم وروافدها لتلك الاحتياجات لا تقتصر على توفير قوة العمل فحسب بل تتجاوز ذلك إلى تطوير نظام التربية والتعليم وتحديده في المناهج والأساليب والبنى والمضامين، أما المحور الثالث فهو إنما يؤكد ان التعليم عنصر مهم في التمية البشرية يستهدف تغيير الأنماط السلوكية، والتصرف العقلاني بشؤون الحياة، وتطوير التفكير الخاص والعام للإنسان، وان هذا الرافد الحيوي لم يعد يتصل بمهمته في التعليم والتعلم في بديهياته فحسب وإنما أصبح ذا اتصال واسع بشبكة الاستثمار للرأسمال البشري والمادي، وتنمية المهارات البشرية سواء ما كان منها على صعيد سنوات الدراسة أم ما يليها من سنوات العمل والإنتاج[١٥].

وفي نهاية المطاف يتضح بوضوح لا يقبل الشك إن التعليم هو واحد من أهم عناصر التنمية البشرية،

٣. العمل:-

إن العمل (من الناحية الفسيولوجية يعني صرف الطاقة في أثناء الفعالية الجسدية، ونفسياً هو إكمال المهمة)[١٦]. وإذا ما لأتينا نتصفح القاموس الاقتصادي وجدناه يعد العمل أحد عناصر الإنتاج، ولكنه يتميز بكونه العنصر الحاسم الذي من دونه لا تنهض أية عملية إنتاجية، وهو في هذا يختلف عن باقي عناصر الإنتاج مما يجعله المصدر الأساسي للقيمة في المجتمعات البشرية[١٧]. مضافا إلى كل ذلك فأن للعمل أبعاداً إنسانية، ومجتمعية تجعله من أهم العمليات الاجتماعية الإنسانية التي تطور المجتمع إنتاجا وفناً وثقافة فهو الشكل الجوهري للنشاط الإنساني والساحة المفتوحة لتحرير الإنسان وتنمية قدراته إذا لم تحدها وتغلقها المحددات البنائية خصوصاً العلاقات الإنتاجية والانقسامية، والتمايزية، التي أنتجت تقسيما للعمل باعد بين العقل والفكر وفتت وحدة العمل الإنساني وشموله الاجتماعي[١٨]. والعمل عنصر مهم من عناصر التنمية البشرية، وعلاقته بالعناصر الأخرى التي ترتكز عليها التنمية وهي الصحة، والتعليم، فان هناك علاقة قوية ومتشابكة فيما بين مفردات هذا الثالوث حتى يمكن القول إن من الصعوبة بمكان الحصول عل أهداف إنتاجية جيدة إذا ما تعرض أي عنصر من هذه العناصر للضعف، أو أصابه الخلل، فإذا ما أتينا إلى العلاقة بين العمل والصحة وجدنا إن هناك علاقة طردية، إذ كلما تحسنت صحة الإنسان كلما زادت إنتاجيته، والعكس صحية والعمل كذلك له علاقة قوية بالتعليم إذ يعد الأخير عاملاً مهماً في التنمية الاقتصادية وإيجاد الثروة الطبيعية لكونه يكسب هذا الفرد الذي تعلم ودرس وعرف، وخبرات جديدة لم يكن يمتلكها قبل التعليم، كما أنه يصقل ويطور المواهب لدى الأفراد[١٩] ومن خلال هذا العرض يتجلى لنا ان للتعليم دوراً كبيراً ومؤثر في عنصر العمل وأن العامل الذي يمتاز بحصوله على قدر كبير من المعرفة يكون هو الأقدر على تحقيق أهداف العملية التنموية، وفي نهاية المطاف فالعمل يعد غاية ووسيلة في آن واحد فهو غاية ترتبط بإنسانية الإنسان في الجماعة وهو احد مكونات الكرامة الإنسانية التي يتشرف بها المرء خلال حياته، وهو وسيلة لأنه العنصر الحاسم في منظومة عوامل الإنتاج والقادر على الاستغلال الأفضل لبقية العوامل[٢٠].

قياس التنمية البشرية:ـ

كما هو معلوم انه كلما تعددت المتغيرات المقاسة والدالة على التنمية البشرية، كلما أدى ذلك إلى إعطاء صورة أكثر شمولاً وأدق قياساً للتنمية البشرية ولكوننا نجد إن اختيار المقاييس المستخدمة كثيراً ما تتحكم بها بعض الظروف، مثل عدم توافر البيانات أو الفقر في دقتها ومع كل ذلك فإننا نجد انه قد أصبح من المعتاد أن تقاس التنمية البشرية من خلال مؤشرات محددة، وهي العمر المتوقع عند الولادة، ومعدل القراءة والكتابة بين الكبار، ونصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي(٢١).

وإذا ما أتينا إلى العنصر الأول، وهو العمر المتوقع أو المرتقب عند الولادة أي العمر المتوقع الذي يعيشه هذا المولود الجديد، وهو عبارة عن متوسط عمر الإنسان في البلد المعني وطول العمر يستخدم كدلالة على التغذية الكافية والصحة الجيدة ومدى توافر العناية والرعاية والخدمات الطبية للفرد في البلد المعني(٢٢).

أما العنصر الثاني وهو المعرفة فيقاس من خلال نسبة الملمين بالقراءة والكتابة وفي الحقيقة، إن هذه الأرقام الدالة على هذه النسبة ليست إلا انعكاساً عاماً لإمكانية الحصول على فرص التعليم لاسيما التعليم الجيد الذي يعد من الضرورات المهمة للحياة المنتجة خصوصاً في المجتمع الحديث، ومن المفيد أن نذكر إن تقرير التنمية البشرية يرى ان الإيمان بالقراءة والكتابة ليست إلا الخطوة الأولى في مجال التعليم واكتساب المعرفة إضافة إلى ذلك، فان الأرقام الدالة على نسبة الملمين بالقراءة والكتابة هو من المعايير الأساسية في قياس التنمية البشرية(٢٣).

والعنصر الثالث الذي يتعلق بنصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي أو مقدار الدخل القومي، وهذا العنصر له أهمية كبيرة لدى الباحثين إذ إن من غير الخافي ما يمكن يؤديه العامل الاقتصادي من دور فعال في عملية التنمية ن وان المعرفة الدقيقة لهذا العنصر يتطلب تعريف مفرداته حتى يتسنى لنا الفهم الجيد لهذا العنصر، ومدى إمكانية توظيفه من حيث كونه مؤشراً يعطي صورة ذات دلالة موضوعية عن خط سير عملية التنمية صعوداً او هبوطاً، حيث يعرف نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي (بأنه الناتج الإجمالي مقسوماً على عدد السكان ويعبر عن هذا النصيب عادة بالدولار حسب القيمة التجارية

للدولار ومعدلات نمو نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي هو متوسط معدلات النمو السنوي التي حسبت بقياس خطوط الاتجاه للقيم اللوغارتمية لنصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي بأسعار السوق لكل سنة من الفترة الزمنية[٢٤].

هدف التنمية البشرية:ـ

منذ ظهور مفهوم التنمية البشرية، وذلك في تقرير التنمية البشرية الأول الصادر عام ١٩٩٠ وما تلاه من تقارير، ومحور الكلام يصب في مصب واحد وهو كيفية الوصول بالإنسان إلى المكانة التي يستحقها على اعتبار ان الناس هم الثروة الحقيقية لأي أمة، وعند العودة إلى مفهوم التنمية البشرية فهي تعني توسيع نطاق الخيارات أمام الناس، وذلك بزيادة فرصهم في التعليم والرعاية الصحية، والدخل، والعمالة، وانطلقت إلى ابعد من ذلك للتحرر من الأمية و الجوع والتمتع بالحريات الشخصية، والأمان والاستقرار، وغيرها من الأمور التي تعود على الإنسان بالفائدة أولاً وأخيراً إذن أساس التنمية البشرية هو مبدأ عمومية مطالب الحياة إي الاعتراف بمطالب الحياة للجميع، نساءً ورجالاً، وأطفالاً دونما تميز.[٢٥] إي لا يحرم الإنسان من أي شيء يعود عليه بالفائدة فمنظور التنمية البشرية يقدر الحياة البشرية لذاتها، أي اعتبار الإنسان الهدف النهائي وغاية الغايات وذلك لأهميته ودوره في الحياة باعتباره أداة التنمية وغايتها في آن واحد بحيث لا يمكن أن تتحقق تنمية أو تقدم أو تطور في الحياة إلا عن طريق الإنسان وبواسطته.[٢٦]. وانك إذا أتيت إلى العوامل الأخرى الضرورية للتنمية مثل رأس المال، والتنظيم، والإدارة، والتصميم، والتخطيط كلها في واقع الأمر قوامها الإنسان نفسه لكون الإنسان بما لديه من فكر وعقيدة وإيديولوجية وصحة ومهارات، وعلم هو العماد الحقيقي للتنمية ومحركها الأول والأخير.[٢٧] فالإنسان هو المحرك الذي يفكر، ويبدع، ويخترع، بعون الله وتوفيقه ويعطي الأشياء والسلع المصنعة قيمتها الحقيقية بما يضيفه من صنعة وعمل مبدع ودقيق وجيد وهو الذي يحول الثروة العلمية والتقنية، إلى ثروة إنسانية تخدمه وتخدم المجتمع الذي يعيش فيه وهو الذي يستطيع بذكائه وعلمه المبدع أن يسخر الموارد الطبيعية، والمادية على اختلاف أنواعها وأشكالها لخدمته وخدمة مجتمعه وأمته.[٢٨] ولهذا تبدع الدول المتقدمة في اجتذاب، واحتضان، وتشغيل طاقات الإنسان المبدع، وتقديم كل ما يلزم له، لتحقيق النهضة المدنية، والرخاء للجميع فهم

يدركون إن الإنسان هو أساس التقدم، وهو يأتي قبل المال وقبل الخامات الأرضية، وقبل البنايات الشاهقة[٢٩].

المبحث الثاني

التنمية العلمية في فكر الامام الصادق عليه السلام

لاشك أنّ الإمام الصادق عليه السلام أحدث نهضة علمية رائدة في عصره وامتدت هذه الحركة العلمية عبر العصور المختلفة، وسوف نبين معالم التنمية العلمية في فكر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: التأكيد على البعد العلمي:

لا يخفى أنّ جميع أهل البيت عليهم السلام أكدوا على العلم والتعلّم ولكن في عهد الإمام الصادق عليه السلام حيث الصراع العلمي والشبهات الفكرية وظهور العديد من الفرق- استدعى الأمر أن يُسلّح الموالون بسلاح العلم أكثر من العصور الأخرى ولذا كان الإمام الصادق عليه السلام يؤكد بشكل حثيث على العلم والتعلّم ومن ذلك قوله عليه السلام: (ليت السياط، على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام)[٣٠].

وقال عليه السلام: (حديث في حلال وحرام تأخذه من صادق، خير من الدنيا وما فيها من ذهب أو فضة)[٣١]

وروى بشير الدهّان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: (لا خير فيمن لا يتفقّه من أصحابنا يا بشير إنّ الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم)[٣٢]. وقال عليه السلام: (تفقّهوا فإنّه يوشك أن يُحتاج إليكم)[٣٣].

وقال عليه السلام: (إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء)[٣٤].

وقال عليه السلام: (عالم أفضل من ألف عابد وألف زاهد[٣٥].

المحور الثاني :الإرجاع إلى الأصحاب.

اعتاد المسلمون منذ بدء الإسلام على تلقّي أمور دينهم من أهل البيت عليهم السلام بدءاً من

رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سائر الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين أمر الله عزّ وجلّ بالرجوع إليهم والسؤال منهم، فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣٦] وحيث إنّ المسلمين انتشروا في مختلف البلاد وكثر عددهم وصار من الصعب عليهم الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام والتلقّي منهم مباشرة وتكالب الآخرين على الشيعة وتحيّنهم الفرص كي يضلّوهم عن خط أهل البيت عليهم السلام لذا عمد الإمام الصادق عليه السلام إلى طريقة أخرى تصونهم من أهل الفتن وتبصّرهم أمور دينهم ألا وهي إرجاعهم للثقات من أصحابه ممّن أخذوا معالم دينهم عنهم عليهم السلام وتربّوا عليهم تربية سليمة بحيث يمكنهم بيان أحكام الله وحل مشاكل الناس وينبغي الالتفات إلى أنّهم عليهم السلام أرجعوا الموالين إلى خيرة أصحابهم ممّن زقّوا العلم زقاً، وتميّزوا بالتقى والصلاح والصلابة في العقيدة ولم يرجعوهم إلى أناس عاديين لا يفقهون أمور الدين فمن الذين أرجع إليهم الإمام الصادق عليه السلام زرارة بن أعين، قال عليه السلام للفيض بن المختار: (إذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس مشيراً إلى زرارة)[٣٧].

المحور الثالث: فتح باب التخصّصات:

وذلك بعد تشخيص مؤهّلات الأصحاب وكفاءاتهم وميولاتهم، فخصّ أبان بن تغلب بالفقه، وكان أبان كما عن إبراهيم بن يزيد النخعي مقدّماً في كل فن من العلوم ومنها الفقه والحديث والأدب واللغة والنحو وله كتب كثيرة، وكان الإمام عليه السلام يُرجع إلى أبان في تلقّي الأحاديث، فعن عثمان: أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال له:(إنّ أبان بن تغلب روى عنّي ثلاثين ألف حديث، فاروها عنّي)[٣٨].

وعن عن سليم بن أبي حيّة، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فلما أردت أن أفارقه ودّعته وقلت: أحب أن تزودني، فقال: ايت أبان بن تغلب فإنه قد سمع منّي حديثا كثيرا فما روى لك فاروه عنّي[٣٩].

وأوكل عليه السلام محمد بن علي بن النعمان الكوفي الصيرفي علوم العقيدة والمناظرة، وقد بلغ الأمر أنّ الإمام الصادق عليه السلام نهى تلامذته عن مناظرة الآخرين ماعداه يقول أبو خالد الكابلي: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة أزراره، وهو دائب يجيبهم ويسألونه، فدنوت منه فقلت: إنّ أبا عبد اللّه ينهانا عن الكلام فقال: أمرك أن تقول لي؟ فقلت: لا واللّه، ولكن أمرني أن لا أُكلّم أحداً، قال: فاذهب إليه وأطعه فيما

أمرك فدخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب الطاق، وما قلت له، وقوله لي: اذهب فأطعه فيما أمرك، فتبسّم أبو عبد اللّه عليه السلام وقال: يا أبا خالد إنّ صاحب الطاق يكلّم الناس فيطير وينقض، وأنت إن قصوك لن تطير[٤٠] وجعل مؤمن الطاق للمساجلة في الكلام، وهشام بن الحكم للمناظرة في الإمامة والعقائد[٤١].

ويرى الباحث ان هذا المحور يحاكي ما تؤكده الدراسات الحديثة من العمل على التخصص الدقيق لمختلف العوم حتى يسمح للطالب ويساعده في الابداع في مجال دراسته وعمله.

المحور الرابع: التأكيد على نشر العلوم:

لم يقتصر الإمام الصادق عليه السلام على حث الموالين على التعلّم بل دعاهم إلى نشر علومهم وإنقاذ الناس من هلكات الشبهات وبدع المُحدثين من أهل الضلال، فقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: (زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله)[٤٢].

وقال عليه السلام: (لكل شيء زكاة وزكاة العلم أن يعلّمه أهله)[٤٣].

وعن أبي بصير، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من علّم خيراً فله أجره، قلت: فإن علّم ذلك غيره، قال: يجرى له وإن علّمه الناس كلّهم وزاد فيه بعضهم، قلت: وإن مات؟ قال: وإن مات)[٤٤].

وقال عليه السلام: (قرأت في كتاب علي عليه السلام: إنّ الله لم يأخذ على الجهّال عهدا بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال، لأنّ العلم كان قبل الجهل)[٤٥].

المحور الخامس: فتح باب المناظرات:

ومن الأمور التي اعتمدها الإمام الصادق عليه السلام في حركته العلمية هي فتح باب المناظرات والنقاش والمجادلة بالتي هي أحسن وقد ربّى الإمام عليه السلام عدّة من أصحابه ممّن لهم الأهلية في الحوار والسجال على المناظرة ودعاهم إلى محاججة الآخرين ففي الحديث عن أحمد بن محمد بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال (: قال لي: خاصموهم وبيّنوا لهم الهدى الذي أنتم عليه، وبيّنوا لهم ضلالهم وباهلوهم في علي عليه السلام)[٤٦] وعن أبان بن تغلب، قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: جالس أهل المدينة فإنّي أحب أن يرى في شيعتنا مثلك)[٤٧] وقد أعطى

الإمام الصادق عليه السلام أصحابه من المكانة في المناظرة بحيث كان يصرّح أنّ من يغلبهم فهو غالب له، ففي الحديث عن هشام بن سالم، قال: (كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له، فلمّا دخل سلّم فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس، ثم قال له: حاجتك أيّها الرجل قال: بلغني أنّك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك فقال أبو عبد الله عليه السلام: في ما ذا؟ قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران دونك الرجل، فقال الرجل: إنّما أريدك أنت لا حمران، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني)[٤٨].

المحور السادس: التأكيد على البعد التربوي:

وهو جانب مهم في حركة الإمام الصادق عليه السلام حيث أدّب أصحابه فأحسن أدبهم، وربّاهم تربية صالحة بحيث صاروا زيناً للتشيّع وفخراً له وقد تجسّد البعد التربوي في مجالي: الأول: الوصايا التربوية التي كان الإمام الصادق عليه السلام يوصي بها أصحابه وهي إمّا وصايا عامّة لكافة الأصحاب ومن ذلك ما نقله إسماعيل بن جابر، قال: إنّه عليه السلام كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها وقال إسماعيل بن مخلّد السراج: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه: بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فاسألوا ربّكم العافية وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتنزّه عمّا تنزّه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحمّلوا الضيم منهم وإيّاكم ومماظتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام، فإنّه لا بد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام بالتقيّة التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا ابتليتم بذلك منهم فإنّهم سيؤذونكم وتعرفون في وجوههم المنكر، ولولا أن الله تعالى يدفعهم عنكم لسطوا بكم وما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر ممّا يبدون لكم، مجالسكم ومجالسهم واحدة وأرواحكم وأرواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبّونهم أبداً ولا يحبّونكم غير أنّ الله تعالى أكرمكم بالحق وبصّركموه ولم يجعلهم من أهله فتجاملونهم وتصبرون عليهم وهم لا مجاملة لهم ولا صبر لهم على شيء وحيلهم وسواس بعضهم إلى بعض فإنّ أعداء الله إن استطاعوا صدّوكم عن الحق، فيعصمكم الله من ذلك، فاتقوا الله وكفّوا ألسنتكم إلا من خير...)[٤٩] وهي رسالة طويلة حوت على وصايا تربوية

مفصّلة قيّمة، وكان الأصحاب قد اعتنوا بها غاية العناية وتعاهدوها عقيب الصلاة ممّا يدل على شدّة اهتمامهم بها وحرصهم على العمل بمضامينها، والتأمّل في مفاهيمها.

الثاني: المواقف التربوية العملية التي كان يتخذها الإمام عليه السلام أمام أصحاب وحرصه البيّن على تجسيد البعد التربوي عملياً وليس نظرياً فحسب وهذا كان جلياً لكل من عاشره أو خالطه أو حتى رآه، فإنّ حياته عليه السلام كانت مدرسة تربوية كاملة، يقول حمّاد اللحام: (أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام، فقال: إنّ فلاناً- ابن عمّك- ذكرك، فما ترك شيئاً من الوقيعة والشتيمة إلا قاله فيك، فقال أبوعبد الله عليه السلام للجارية: إيتيني بوضوء، فتوضأ ودخل، فقلت في نفسي يدعو عليه فصلى ركعتين، فقال: يا رب هو حقّي قد وهبته له وأنت أجود منّي وأكرم، فهبه لي ولا تؤاخذه بي ولا تقايسه، ثم رقّ فلم يزل يدعو فجعلت أتعجّب)[٥٠].

المحور السابع: الرجوع إلى العترة:

مقابل المقولة المشهورة (حسبنا كتاب الله) أكد أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الصادق عليه السلام على الرجوع إليهم وصرّح لأصحابه أنّ وظيفتهم هي الرجوع إليهم وطرق أبوابهم ففي الحديث أنّ حمزة بن الطيار عرض على أبي عبد الله عليه السلام بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعاً منها قال له: (كف واسكت، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام:لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبّت والردّ إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلو عنكم فيه العمى ويعرّفوكم فيه الحق قال الله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٥١] وعن زيد الشحّام، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله عز وجل: (فلينظر الانسان إلى طعامه)، قال: قلت: ما طعامه؟ قال علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه)[٥٢].

وعن الحجّاج الخيبري، قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نكون في الموضع فيروى عنكم الحديث العظيم فيقول بعضنا لبعض: القول قولهم، فيشقّ ذلك على بعضنا، فقال: كأنّك تريد أن تكون إماماً يقتدى بك أو به، من ردّ إلينا فقد سلم[٥٣].

الخاتمة:

وفي نهاية بحثي هذا توصل الى النتائج الآتية:

١. أن ضرورة التعليم تكمن في قدرته على تنمية الشخصية الإنسانية.

٢. حث الإمام عليه السلام على التعليم والتعلم على حد سواء لما لهما من انعكاسات طيبة على الإنسان من خلال توسيع مداركه واستثمار طاقاته على أكمل وجه.

٣. وقد أشار الإمام عليه السلام الى مسألة التعليم وما يكون لها من أثر طيب على المجتمع وعلى الفرد نفسه.

٤. أكد الامام عليه السلام على الجانب التربوي في التعليم.

٥. بين الامام عليه السلام على أهمية المناظرات في ايصال وتنمية التعليم.

هوامش البحث

(١) تنمية القدرة الذاتية للوطن العربي، الياس زين: ١٤٠.
(٢) دراسات في التنمية الاجتماعية، حسن إبراهيم عيد:١٦٠
(٣) التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، جورج القصيفي: ٨١
(٤) التنمية البشرية في الوطن العربي، حامد عمار: ٤٣
(٥) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون:٢٤١
(٦) برنامج العمل العام الثامن، منظمة الصحة العالمية: ٢٥
(٧) مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي: ١٩
(٨) عن البشر والتنمية في الوطن العربي، نادر فرجاني: ٧
(٩) مستقبلنا المشترك، محمد كامل عارف، سلسلة عالم المعرفة: ١٦٨
(١٠) دراسات في علم الاجتماع الطبي، محمد علي محمد: ٣٠٨
(١١) مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي: ٤٢٢
(١٢) التنمية البشرية في الوطن العربي، حامد عمار: ١٤٣
(١٣) بعض المتغيرات المؤثرة في العلاقة بين التعليم والتنمية البشرية في الوطن العربي، عبد الباسط عبد المعطي: ٢٩٢.
(١٤) التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، جورج القصيفي: ٩٢
(١٥) اثر التعليم في التنمية البشرية سلمان زيدان:١٣٦
(١٦) معجم العلوم النفسية، فاخر عقل:٤٠٢
(١٧) التنمية البشرية وأنظمة التعليم والأنماط التقانية في الوطن العربي، دارم البصام:٢٦٤

(١٨) بعض المتغيرات المؤثرة في العلاقة بين التعليم والتنمية البشرية في الوطن العربي، عبد الباسط عبد المعطي: ٢٩٤.
(١٩) دراسات في التنمية الاجتماعية، حسن إبراهيم عيد:١٠
(٢٠) التنمية البشرية في الوطن العربي، حامد عمار: ١٦٩
(٢١) مؤشرات التنمية البشرية العربية وتطوراتها، محي الدين خيري:١٠٨
(٢٢) التنمية المتواصلة والبيئة في الوطن العربي، محسن عبد الحميد توفيق وآخرون:١٧
(٢٣) تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٠، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي:٢٣
(٢٤) مؤشرات التنمية البشرية العربية وتطوراتها، محي الدين خيري:١٠٩
(٢٥) تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٨، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي:٢٠
(٢٦) قضايا الإنسان، عمر محمد التومي: ١٣٨
(٢٧) تنمية القدرة الذاتية للوطن العربي، الياس زين:١٤١
(٢٨) قضايا الإنسان، عمر محمد التومي: ١٣٨
(٢٩) ملامح التنمية الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين، خولة الدلاهمة:١٨
(٣٠) المحاسن: ٢٢٩/١
(٣١) نفس المصدر: ٢٩٩/١
(٣٢) الكافي: ٣٣/١.
(٣٣) المحاسن: ٢٢٩/١ .
(٣٤) من لا يحضره الفقيه: ٣٩٨/٤-٣٩٩ .
(٣٥) بصائر الدرجات: ٨/١ .
(٣٦) سورة النحل: ٤٣ .
(٣٧) وسائل الشيعة: ١٤٣/٢٧ .
(٣٨) رجال النجاشي: ١٢ .
(٣٩) اختيار معرفة الرجال: ٦٢٣/٢ .
(٤٠) نفس المصدر: ٤٢٤/٢ .
(٤١) توحيد المفضّل: ١٠ .
(٤٢) الكافي: ٤١/١ .
(٤٣) تحف العقول: ٣٦٤ .
(٤٤) بصائر الدرجات: ٥/١ .
(٤٥) الكافي: ٤١/١ .
(٤٦) بحار الأنوار: ٤٥٢/١٠.

(٤٧) اختيار معرفة الرجال: ٦٢٢/٢ .
(٤٨) نفس المصدر: ٥٤٤/٢.
(٤٩) الكافي: ٢/٨ .
(٥٠) مشكاة الأنوار: ٢١٧.
(٥١) الكافي: ٥٠/١ .
(٥٢) نفس المصدر .
(٥٣) مختصر البصائر: ٢٦٩.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم

- ابن خلدون، عبد الرحمن، **مقدمة ابن خلدون**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦.
- بدوي، أحمد زكي، **مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، لبنان ١٩٨٧.
- برنامج العمل العام الثامن، **منظمة الصحة العالمية**، سوسيرا ١٩٨٧.
- البصام، دارم، **التنمية البشرية وأنظمة التعليم والأنماط التقانية في الوطن العربي**، في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي.
- تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٠، **برنامج الأمم المتحدة الإنمائي**، مطابع أكسفورد، نيونورك، ١٩٩٠
- تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٨، **برنامج الأمم المتحدة الإنمائي**، مطابع البحرين، البحرين، ١٩٩٨
- توفيق، محسن عبد الحميد وآخرون، **التنمية المتواصلة والبيئة في الوطن العربي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٢
- التومي، عمر محمد، **قضايا الإنسان**، في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧.
- الجاحظ، أبو عثمان، **المحاسن والاضداد**، دار الهادي، بغداد، ١٩٩١
- الجعفي، المفضل بن عمر، **توحيد المفضل**، ط٢، ١٩٨٤.قم
- الحلي، عز الدين، **مختصر البصائر**، ١٤١٣، قم

- خيري، محي الدين، **مؤشرات التنمية البشرية العربية وتطوراتها**، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، المجلد الثامن، العدد ٣، ١٩٩٣.
- الدلاهمة، خولة، **ملامح التنمية الاقتصادية في القرن الحادي والعشرين**، مجلة أخبار النفط والصناعة، العدد٣٥٥، السنة الحادية والثلاثون، ٢٠٠٠.
- زيدان، سلمان، **اثر التعليم في التنمية البشرية**، مجلة أم المعارك، بغداد، السنة الثانية، ١٩٩٧.
- زين، الياس، **تنمية القدرة الذاتية للوطن العربي**، مجلة قضايا عربية، بيروت، لبنان، العدد السادس، السنة العاشرة، ١٩٨٣.
- سلمان حنفي محمود، **السلوك التنظيمي والأداء**، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، د. ت
- الصفار، محمد بن الحسن، **بصائر الدرجات**، مكتبة المرعشي، ١٤٠٤
- الطبرسي، علي، **مشكاة الأنوار**، ط١، ١٤١٨ قم
- الطوسي، أبو جعفر ، **اختيار معرفة الرجال**، ١٤٠٤قم
- عارف، محمد كامل، **مستقبلنا المشترك**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد١٤٢، ١٩٨٥.
- العاملي، الحر، **وسائل الشيعة**، دار إحياء التراث، ١٤١٤
- عبد المعطي، عبد الباسط، **بعض المتغيرات المؤثرة في العلاقة بين التعليم والتنمية البشرية في الوطن العربي**، في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.
- عقل، فاخر، **معجم العلوم النفسية**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٨.
- علام اعتماد محمد، **دراسات في علم الاجتماع التنظيمي**، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، ١٩٩٤.
- عمار، حامد، **التنمية البشرية في الوطن العربي**، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٢.
- عيد، حسن إبراهيم، **دراسات في التنمية الاجتماعية**، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٤.
- فرجاني، نادر، **عن البشر والتنمية في الوطن العربي**، مجلة المستقبل العربي، بيروت، لبنان، العدد ١١٣، السنة ١١، ١٩٨٨.
- القصيفي، جورج، **التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون**، في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.
- القمي، أبي جعفر الحسين بن بابويه، **من لايحضره الفقيه**، مؤسسة الأعلمي، بييروت: لبنان، ١٩٨٦

- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، **الكافي**، ط٣، دار الكتب الاسلامية طهران ١٣٨٨
- المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار**، مؤسسة الاعلمي، بيروت: لبنان، ٢٠٠٨
- محمد، علي محمد، **دراسات في علم الاجتماع الطبي**، دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.
- النجاشي، أبو العباس احمد بن علي، **رجال النجاشي**، مؤسسة الاعلمي، بيروت: لبنان، ٢٠١٠